مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص43 – ص53
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

رشيد بورويبة: لقاء ومقابلة

Rachid Bourouiba: Rencontre et entretien

أ.د. شريفة طيان ساحد
جامعة الجزائر2، معهد الآثارcherifa.tayene@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 31 / 05/ 2022 تاريخ القبول: 10/ 06/ 2022

Résumé: Cet article vise à montrer la véritable personnalité de Rachid Bourouiba, considéré comme le doyen des archéologues algériens. Son parcours scientifique, riche et varié par ses différents travaux de fouilles et prospections archéologiques à travers les diverses régions de l'Algérie notamment la région de M'sila (Mâadid- Qal'a de Beni hammad). Il était passionné par l'architecture islamique qui lui tenait une place essentielle et primordiale, mais ne l'empêchant pas à se plonger dans la civilisation islamique au Maghreb central (Algérie), tout en contribuant par ses connaissances et savoir dans les arts mineurs, la calligraphie, l'épigraphie et l'art décoratif musulman sous toutes les dynasties qu'a connues l'Algérie médiévale.

Mots clés : Bourouiba ; Architecture ; Qal'a ; Bani Hammad ; inscriptions ; mosquée

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على شخصية رشيد بوريبة الفعّالة في علم الآثار، والذي لقب بعميد الأثريين الجزائريين، اتسم مساره العلمي بالغنى والتنوع نتيجة التنقيبات الأثرية والتحريات في كل أرجاء الجزائر خاصة في المسيلة بمنطقة المعاضيد وبالضبط في قلعة بني الحماد التي أجرى فيها عدة حفريات وتنقيبات، كان شغوفا بالعمارة الإسلامية التي أخذت جزءا كبيرا من اهتمامه وتخصص في دراسة دقائقها، لكن هذا لم يمنعه من التعمق في الحضارة الإسلامية بالمغرب الأوسط (الجزائر)، إذ

ساهم بمقدراته العلمية الغوص في دراسة الفنون التطبيقية والخط العربي والكتابات الأثرية الإسلامية والفن الزخرفي الإسلامي عبر الدويلات التي حكمت الجزائر في الفترة الوسيطة.

الكلمات المفتاحية: بورويبة؛ عمارة؛ قلعة؛ بني حماد؛ كتابات؛ مسجد.

المؤلف المرسل: شريفة طيان ساحد.

البريد الالكتروني: cherifa.tayene@univ-alger2.dz

1. مقدمة:

شاءت الأقدار خلال السنة الجامعية 1984-1985 أن قابلت رفقة زميلتي حورية شريد الأستاذ الدكتور رشيد بورويبة، بعد تكليفنا بالقيام ببحث في وحدة الكتابات الأثرية، حيث طلب منا البحث في منهجية دراسته للكتابات العربية في الآثار الإسلامية والجديد في أبحاثه ، فما كان علينا وقتها إلا الاتّصال بإدارة معهد التاريخ بجامعة الخروبة لمساعدتنا عن كيفية الالتقاء به، فكانت فرحتنا كبيرة عندما قيل لنا أن الأستاذ بورويبة يلتقي بطلبته الذين يشرف عليهم في الدكتوراه (الحلقة الثالثة) مرة في الأسبوع بالجامعة، إنتظرناه في اليوم المحدّد والمميز بالنسبة لنا، وكان أول مرة نرى فيها الأستاذ رشيد بورويبة الذي نسمع به من خلال منشوراته فقط، دخلنا القاعة بعد استئذانه واستقبلنا بصدر رحب، وقتها كان بمعية طالب من طلبته يصحّح له ويرشده ويوجّهه بكل هدوء بنبرة صوته الخافتة والمميزة ونطقه لحرف الراء بطريقة مميزة أيضا، بعد الانتهاء من توجيهاته عرّفنا بالطالب وما كان إلا المرحوم علي خلاصي الذي كان يبحث وقتها في موضوع العمارة العسكرية وقلعة الداي وقصبة مدينة الجزائر. وتوالت اللقاءات معه مرة في الأسبوع يستقبلنا فيها بكل سرور، وموعدنا معه يكون في نفس القاعة الموجودة في الطابق الثاني، تارة مع طلبته يشرح ويفسّر وتارة أخرى مع أوراقه الشفافة، يرسم المخططات والخرائط ويعيدها بخط يده، وهذا ما لاحظناه في مكتبته الخاصة الثرية والمفعمة بالكتب والمخططات والرسومات، يوم استقبلنا في بيته الكائن بابن عمر بالقبة خلال السنة الجامعية 1987- 1988، أعارنا كل ما نحتاج إليه من مراجع ووثائق، ولم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات وتشجيعاته.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص43 – ص53
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

2- سيرة رشيد بورويبة الذاتية:

ولد الأستاذ رشيد بورويبة سنة 1917 بالجزائر العاصمة من أب جزائري وأم فرنسية، كان أبوه موظّفا بسيطا في الشركة الوطنية للسكك الحديدية مما جعله يتنقل من مدينة إلى أخرى بدءا من مدينة بجاية فالقصر ثم مدينة سطيف وصولا إلى ثنية بن عيشة التابعة لدائرة الثنية بولاية بومرداس، تحصّل فيها على الشهادة الابتدائية ليعود مرة ثانية إلى مسقط رأسه الجزائر العاصمة ليكمل دراسته ويتحصّل على الشهادة المتوسطة، حضّر أيضا لمسابقة في معهد تكوين المعلمين ببوزريعة وتخرّج منها ليعيّن معلما. درّس في عدّة مدن بدءا بالعاصمة ثم الشلف (الأصنام سابقا) ثم خميس مليانة بعين الدفلى. تحصّل في سنة 1956 على شهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وبعدها مباشرة بدأ في تحضير ديبلوم الدراسات العليا حول موضوع "شخصية محمد بن تومرت"، وواصل تكوينه حيث حضّر شهادتين الأولى خاصة بالحضارة الإسلامية في المشرق والثانية خاصة بالحضارة الإسلامية بالمغرب التي سمحت له بنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة في موضوع "الفن الإسلامي في الشرق والغرب" تحت إشراف لوسيان غولفين **(Lucien Golvin)** وفي سنة 1961 تحصّل على شهادة دكتوراه الدولة في موضوع "الكتابات الأثرية التذكارية في مساجد الجزائر" باللغة الفرنسية:

"**les inscriptions commémoratives des mosquées en Algérie**" تحت إشراف نفس الأستاذ (لوسيان قولفين). وبعد سنة كاملة عيّن مديرا عاما للتعليم الابتدائي، وبعد اتّصاله بالجامعة عيّن كأستاذ مختص في التاريخ الإسلامي والآثار يدرّس الوحدات باللّغة الفرنسية، وفي نوفمبر من سنة 1969 عيّن لمدة ثلاث سنوات عميد لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية.

في الفترة الممتدة من سنة 1964 - 1972 منحت له رخصة التنقيب الأثري حيث أجرى خلالها عدة حفريات في قلعة بني حماد بمنطقة المعاضيد رفقة طلبته

المختصين في علم الآثار، والذين كانوا يكنّون له الاحترام والإعجاب إذ كان أثناء هذه الحصص التطبيقية صارما يحاسب طلبته على كل صغيرة وكبيرة كما علّمهم الدقّة في إبراز الآثار ومكنوناتها. جراء الأعمال الميدانية التطبيقية والتنقل إلى المواقع الأثرية قصد التحري والتفتيش والتقصي تعرّف على عدة مبان أثرية كمسجد أبي مروان في مدينة بونة (عنابة حاليا) والجامع الكبير في قسنطينة، ومنه ألّف كتابا باللّغة الفرنسية بعنوان: الفن الديني الإسلامي في الجزائر من القرن 11 إلى القرن 14م **l'art religieux musulman en Algérie)** بمساعدة أستاذه لوسيان غولفين. بعدها قرّر الأستاذ رشيد بورويبة أن يدرس ويتعلّم اللّغة العربية بعد أن اتّصل بأستاذه ابن بليدة الذي أخذ بيده وكوّنه أحسن تكوين.

أحيل الأستاذ رشيد بورويبة على التقاعد سنة 1981 بعد تأدية واجبه الإداري البيداغوجي في أحسن صورة وتكفّله بدائرة الآثار التابعة آنذاك لمعهد التاريخ، وأدائه لمهام التدريس في نفس الوقت.

تم تكريم الأستاذ رشيد بورويبة سنة 1990 من طرف إدارة معهد الآثار التي كان يترأسها آنذاك الأستاذ الدكتور محمد المصطفى فلاح بعد أن رفع راية الجزائر العلمية وأبرز مكانة الآثار الجزائرية الإسلامية بين الأمم والتي كانت مجهولة لديهم. أثناء هذا التكريم الذي أقيم بإحدى قاعات الطابق العلوي بجامعة الخروبة تناول الأستاذ رشيد بورويبة الكلمة مشيرا إلى الظروف الصعبة التي تكوّن وتعلّم فيها، وقال خلالها « إن الذين يعتقدون بأننا اتّخذنا اللّغة الفرنسية لسانا لنا لغاية ما، فهم مخطئون فنحن – يضيف الأستاذ- قد استطعنا أن نفرض أنفسنا على الفرنسيين ليس باللّسان فقط و لكن باللسان العربي، والحمد لله قد كتب لنا القدر أن نساهم في تكوين أبناء بلادنا في المجال العلمي وهذا شرف لنا أعتز به لأرفع رأسي عاليا خدمة لبلادي بين الأمم»[1] (علما أن الأستاذ بورويبة من أم فرنسية كما سبق ذكره وزوجة فرنسية).

خلال السنة الجامعية 1994- 1995 أصدر معهد الآثار العدد الثالث من مجلة الدراسات الأثرية تشريفا للأستاذ رشيد بورويبة وتكريمه، وقتها طلب مني الأستاذ محمد الطيب عقاب أن أمده بمعلومات حول شخصية رشيد بورويبة لنشرها في هذا العدد

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الخاص، قبلت دون تردّد فقدمت له البحث كاملا، التزم الأستاذ محمد الطيب عقاب بكل أمانة علمية على ذكر مصدر المعلومات وصاحبتها.

توفي الأستاذ رشيد بورويبة يوم 3 أفريل 2007 **في مدينة Poitiers** بفرنسا عن عمر ناهز التسعين سنة. وبعد وفاته بستة أشهر في شهر نوفمبر من سنة 2007، وبعد سبعة عشرة سنة من تكريمه الأول (1990) كرّم للمرة الثانية بمصر في مؤتمر إتحاد الأثريين العرب ، وقد سلّمه وزير الثقافة لجمهورية مصر العربية الدرع الذهبي الخاص باتحاد الأثريين العرب، تسلّمها عنه بالنيابة مدير معهد الآثار الأسبق المرحوم الأستاذ الدكتور علي حملاوي تغمده الله برحمته الواسعة.

3- إصدارات رشيد بورويبة العلمية:

أغنى رشيد بورويبة المكتبات الجزائرية بكتبه الأصيلة التي تتناول تاريخ وآثار الجزائر في الفترة الوسيطة، فتنوعت ما بين العمارة الدينية والعسكرية والمدنية وتناول أيضا تاريخ المدن كقلعة بني حماد ووهران وقسنطينة ومدن أخرى مندثرة، وكتب أيضا في مجال الفنون التطبيقية والزخرفية الإسلامية في الجزائر كما نشر مؤلفات حول شخصيات تاريخية أمثال المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي والأمير عبد القادر وألف كتابا حول بلاد المغرب والأندلس بأسلوب حكواتي وأساطيري كما ذكره لنا، (ترجمت معظم هذه الكتب إلى اللغة العربية)، يمكن حصر هذه الإصدارات فيما يلي:

- L'Art musulman en Algérie, SNED, 1972.
- L'Art religieux musulman en Algérie, Alger, SNED, 1973, 228 p
- Ibn Tumert. Alger, SNED, 1974, 142 p.
- Abd el-Mu'min, flambeau des Almohades, Histoire. Alger, SNED, 1974, 165 p.
- La Qal'a des Bani Hammad, Alger, Sous-direction des Beaux-arts, 1975, 91 p.

- La Qal'a des Bani Hammad, Ministère de l'information et de la culture, Sous-direction des Beaux-arts et antiquités, Alger, 1975, 94 p.
- Abdelmoumen, Alger, Ministère de l'Information et de la Culture, 1976, 142 p.
- Constantine, Alger, Ministère de l'Information et de la Culture, 1978, 155 P.
- Béjaia, Alger, Ministère de l'Information et de la Culture, 1978.
- Les inscriptions commémoratives des mosquées en Algérie, Thèse 3°cycle, Publications de la Bibliothèque Nationale. Alger, SNED **.1979**
- Les Inscriptions anciennes dans les mosquées algériennes, Alger, SNED, 1981.
- Cités disparues, Alger, Ministère de l'Information et de la Culture, 1982, 153 p.
- L'Art religieux musulman en Algérie, Alger, SNED, 1983.
- L'Architecture Militaire de l'Algérie Médiévale, Alger, SNED, 1**9**83
- Oran, Art et culture, Ministère de l'Information et de la Culture, Alger, 1983.
- Anecdotes, récits et contes maghrébins et andalous, Contes. Alger, ENAL, 1985, 210 p.
- L'apport de l'Algérie à l'architecture religieuse, Alger, OPU, 1986.

فيما يخص المقالات فقد نشر ما يفوق الخمسين مقالا في مجلات وطنية ودولية حول الفنون الزخرفية كالفن الصنهاجي والزخارف الآدمية والحيوانية في الفن الحمادي والفن الأموي في سوريا، ودرس العناصر المعمارية بما في ذلك المحاريب والمنابر والتيجان الحمادية ناهيك عن تقارير التفتيش والتحري في عدة مناطق في الجزائر إضافة إلى التنقيبات الأثرية التي كانت تجرى في قلعة بني حماد(مجال معظم أبحاثه

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الأثرية)، وأهم الاكتشافات التي توصل إليها كاكتشاف قطع الحلي وقطع جصية وحجرية منحوتة، واكتشافه للقاعة الشرفية بقصر المنار الغربي وحوض حجري يخص القصر، كما تنوعت مواضيع أبحاثه من دراسة المسكوكات والدنانير التي تعود إلى الفترة الأغلبية والتي عثر عليها في منطقة سطيف، وتناول بالدراسة أيضا مخططات المساجد وغيرها من المواضيع التي تخص التاريخ والآثار على حد سواء ويمكن ذكر أهم المقالات فيما يلي:

- « Rapport préliminaire sur la compagne de fouilles de septembre 1964 à la Qa'la des Bani Hammad », BAA, t.I, Alger, 1962-1965.
- « Note sur les bijoux trouvés à la Qa'la des Bani Hammad(1968) », BAA, t. III, Alger, 1968.
- « Sur un petit oratoire mis à jour à la qa'la des Bani Hmmad », *BAA*, t. V, Alger, 1970,
- « L'influence de l'art sanhadjien du Maghreb sur l'art des normands de Sicile », Actes du 1 er congrès d'études sur les cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère, SNED, 1972.
- « Objets de plâtre et de pierre sculptée mis à jour à la Qa'la des Bani Hammad (1971-1974) », bulletin d'archéologie algérienne, t. V, Alger 1976.
- « La salle d'honneur du palais ouest du manar », bulletin d'archéologie algérienne, t. V, Alger, 1976.
- « Note sur une vasque de pierre trouvée au palais du manar de la Qa'la des Bani Hammad », bulletin d'archéologie algérienne t. V, Alger, 1976.

- « Tagdemt , capitale de l'empire Emir abd el kader »,
- « Mirabs hammadites »
- « Sur six chapiteaux trouvés à la qa'la des Bani hammads »
- « Sur quatre dinars aghlabides récemment trouvés dans le département de Sétif »
- « Les représentations figurées dans l'art Hammadite »
- « Les représentations figurées dans l'art des Ummayades de Syrie »
- « Note sur les plans des mosquées ».

4- نشاطات رشيد بورويبة الميدانية:

- شارك رشيد بورويبة مع أستاذه لوسيان غولفين في مختلف الحفريات خاصة في حفرية أشير عاصمة الدولة الزيرية وثاني دولة جزائرية مستقلة بعد الرستميين.

- قام بوصف الجامع الكبير بقسنطينة سنة 1960 حيث كشف اللثام على ثلاث كتابات غير منشورة موجودة داخل المحراب منفذة بالخط الكوفي تتضمن البسملة واسم الصانع وتاريخ الإنشاء، أما الكتابة الثانية فتنقسم إلى كتابة سفلى نفّذت بالخط الكوفي تحتوي على التاريخ بالحروف وكتابة علوية منفّذة بالخط النسخي كتب تاريخها بالأرقام، وقد أكّد الأستاذ رشيد بورويبة أن الكتابة هي الدليل الوحيد الذي يؤكد أن تاريخ بناء الجامع يعود إلى العهد الحمادي.

- درس أربعة دنانير أغلبية تم العثور عليها سنة 1963 في مدينة برج بوعريريج القريبة من مدينة سطيف.

- أشرف على حفرية قام بها في قلعة بني حماد بمدينة المسيلة بمشاركة الوكالة الجزائرية للآثار من سنة 1964 إلى 1972 كما سبق ذكره، حيث أجرى حفرية كشف أبواب السور الثلاثة، عثر من خلالها على بقايا لأعمدة رخامية وقواعد وتيجان في برج المنار وأنجز مخطط المسجد المتصل بقصر المنار، حلل ودرس الزخارف الكتابية التي تزين جهة المحراب بجدار القبلة حيث أثبت أن المحراب فريدا من نوعه في العالم

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الإسلامي، زد إلى ذلك فقد عثر على صناعات تطبيقية حمادية عبارة على مجموعات خزفية ومعدنية وخشبية وزجاجية ...

- درس ستة دنانير موحدية عثر عليها بقلعة بني حماد سنة 1965 تعود إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي.

- أشرف على عدة رسائل الدكتوراه الحلقة الثالثة.

5- المشاركات الوطنية والدولية:

كانت مشاركة الأستاذ في الملتقيات الوطنية والدولية مكثفة وقوية، ومن أهمها ملتقى بباريس الذي كان محوره يدور حول المحاريب حيث ألقى محاضرة تحت عنوان " أنماط المحاريب الإسلامية الجزائرية". شارك في مؤتمر بإيطاليا عالج فيه تأثير الفن الإسلامي على الفن المسيحي الأوربي، بالإضافة إلى مشاركته في ملتقيين انعقدا بمالطا بموضوع "تأثير الفن الصنهاجي على الفن النورماندي".

بالنسبة للجزائر فقد كان من المنظمين في ملتقى ابن خلدون أيام 21 – 25 جوان 1978 تطرّق فيه إلى موضوع "مكانة العمارة في مقدمة ابن خلدون".

-ساهم في المؤتمر العاشر للأثريين العرب بتلمسان بموضوع يتعلق ببيوت سدراتة.

من بين إسهاماته أيضا في هذه الملتقيات والمؤتمرات، ألقى الأستاذ سنة 1983 محاضرة حول قلعة بني حمّاد من الجانبين الأثري والإعلامي. ناهيك عن المساهمات العديدة والمتنوعة التي شارك بها في المحافل الدولية والوطنية لا يمكن الحديث على مجملها في هذا الإطار.

6- الخاتمة:

اتّخذ الأستاذ رشيد بورويبة طريقة جديدة لسرد الأحداث التاريخية باستعمال الأساطير والحكايات ليسمح للقارئ أن يتأمل أحداث الجزائر وبلاد المغرب دون ملل. وبالنسبة للبحث الأثري فقد حاول من خلال مؤلفاته استعمال الدقة العلمية

والابتعاد قدر الإمكان من الأسلوب الأدبي، والمكان الذي يحتله التاريخ في المقدمة إذ أصبح يقلل من المقدمات التاريخية ويتعمق في تحليل الأحداث المتعلقة مباشرة بالموضوع مع التركيز على التصاميم والأشكال والتفريغ الزخرفي، لاحظته في إحدى المقابلات وهو يقوم بالتفريغ الزخرفي بدقة متناهية ورأسه منكبا حتى لا تغيب عنه التفاصيل مستعملا قلم الرصاص ثم يعيده بالحبر الصيني، مستعملا المسطرة بكل الأحجام، كما كان يرسم المناظر المحيطة بالآثار بالحبر الصيني، لم نفهم وقتها كم كان الرسم بهذه الطريقة متعبا ويأخذ الوقت الطويل(لازلت أحتفظ ببعض الصور والمخططات والرسومات التي كان ينفذها بنفسه وبخط يديه).

ما يمكن إدراكه من خلال شخصية رشيد بورويبة حبه الكبير للجزائر وآثارها الإسلامية، كان متواضعا وكريما ومنظما وملتزما لمواعيده لطالما كان ينتظرنا في إحدى قاعات جامعة العلوم الاجتماعية بالخروبة ولا يلومنا على التأخر ويعذرنا بصفتنا طلبة جدد.

قضى ما يقرب نصف قرن بين تكوين الأجيال وبحوث شتى غير منقطعة، حيث لقّن الطلبة المعلومات والمنهجية الحديثة وأفاد الجميع بتجربته وخبرته الطويلة في ميدان تخصصه حيث استفاد منه الجميع على حد سواء وتأسست بفضله مدرسة جزائرية في الآثار التي بدأت ترفع الغبار عن التراث الحضاري الجزائري، وبذلك يمكن اعتباره عميد الأثريين الجزائريين.

أصبحت أعماله مراجع أساسية للبحث عن آثار الجزائر في الفترة الإسلامية الزاهرة. وقد قدّم لنا الأستاذ مساعدات كبيرة في كيفية البحث عن المراجع والتعامل مع المادة الأثرية كما زوّدنا بعدد كبير من المراجع والمقالات المنشورة في المجلات، وفعلا كان اللقاء معه مجديا اكتشفنا من خلاله باحثا كبيرا ودقيقا ونشيطا ومميزا ومتواضعا استطاع أن يغرس في أنفسنا التعطّش الكبير في معرفة الآثار الإسلامية في الجزائر.

وأنهي هذا البحث المتواضع بكلمة الامتنان التي كتبها أستاذنا الكبير الدكتور مولاي بلحميسي رحمه الله (منشورة في مجلة الدراسات الأثرية، 1995): « ولئن نبأ سيفك وكبا فرسك بحكم السن والجهود، ولئن عشت الجفوة والوحدانية شأن العلماء العاملين المتواضعين الذين لا يبالون بجاه ولا بمال فإن لك زملاء يفخرون دوما بنزاهتك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ويحثّون طلبة التاريخ والآثار على انتهاج منهجك والاغتراف من إنتاجك والمضي في طريقك حتى يحتل التراث مكانته ويتمطق المواطن والشباب روعته» .

قائمة المراجع:

طيان شريفة، رشيد بورويبة "الرجل والعالم"، محاضرة في الملتقى الدولي حول مكانة التراث والآثار في مسار جامعة الجزائر، بمناسبة الذكرى المئوية لجامعة الجزائر، بوزريعة، يومي 2 و3 جوان 2009، (غير منشور).

محمد الطيب عقاب، " أستاذ الجيل رشيد بورويبة رائد الآثار في الجزائر" مجلة الدراسات الأثرية لمعهد الآثار، العدد 3، 1995 ص 8.

8. الهوامش:

[1] محمد الطيب عقاب، " أستاذ الجيل رشيد بورويبة رائد الآثار في الجزائر" مجلة الدراسات الأثرية لمعهد الآثار، ع.3، 1995 ص8.

مجلة الدراسات التاريخية